اختلاف الدارين (دار السِّلْم ودار الحرب) وآثاره في الفقه السياسي: دراسة فقهية مقاصدية

بتاريخ ٤ رمضان ١٤٤٥هـ الموافق ١٤ آذار ٢٠٢٤م ناقش الطالب/آدم طاهر حسن حسين أطروحته للدكتوراه وكانت بعنوان: «اختلاف الدارين (دار السِّلْم ودار الحرب) وآثاره في الفقه السياسي: دراسة فقهيّة مقاصديّة». وتألفت لجنة المناقشة من الدكتور وفيق حجازي رئيسًا، والدكتور هلال درويش مناقشًا، والدكتور حسام سباط مناقشًا، والدكتور ناجي السويد مناقشًا، والدكتور أحمد الزعبي مشرفًا، وفي نهاية المناقشة نال الطالب تقدير «جيد جدًّا».

وارتكزت إشكاليّة الأطروحة على السعي إلى الإجابة عن مجموعة من التساؤلات من أهمها: ما هو الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم؟ الحرب أم السلم؟ ما الفرق بين الموالاة المناقضة للدين؟ والتعامل الذي يقبله الشرع؟ ما هي أقسام الديار؟ وما أسباب تقسيمها؟ وما هي العوامل التي أدت إلى التباين في هذا التقسيم؟ ما هو مناط الحكم على الدار؟ وهل الحكم على الدار بالإسلام أو الكفر يكون عارضًا أم لازمًا؟ ما هي الآثار المترتبة على اختلاف الديار؟ ما هي إمكانية إعادة هذا التقسيم في ظل الظروف المعاصرة؟

وكان من أهم أهداف الأطروحة تبيان أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم، والأسس والقواعد التي تحكم هذا الأصل، والكشف عن حيثيات نشوء فكرة تقسيم العالم إلى دور، والنظر إليها في إطار رؤية واقعية لصورة العالم الراهن، ووضع الحلول

للمشكلة الأكثر خطورة المتمثلة في الظلال القاتمة التي أرساها الفهم الخاطئ لهذا التقسيم، وما يترتب على ذلك من آثار سلبية على العالم الإسلامي، وإزالة اللبس الحاصل عند الكثيرين في الخلط بين الموالاة المناقضة للدين، والتعامل الذي يقبله الشرع، وأيضًا تبيان هدي النبي محمد ﷺ في معاملته لغير المسلمين.

واشتملت الأطروحة على فصل تمهيدي وسبعة فصول مقسمة على النحو الآتي:

الفصل الأول بعنوان: أضواء على العلاقات الدولية في الإسلام، وفيه سبعة مباحث، **الفصل الثاني** بعنوان: الولاء والبراء، وفيه خمسة مباحث، **الفصل الثالث** بعنوان: الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم، وفيه سبعة مباحث، **الفصل الرابع** بعنوان: أقسام الديار وساكنيها، وفيه ستة مباحث، **الفصل الخامس** بعنوان: الديار وأقسامها عند الفقهاء المعاصرين، وفيه ستة مباحث، **الفصل السادس** بعنوان: اختلاف الديار وآثاره، وفيه خمسة مباحث، **والفصل السابع** بعنوان: إعادة تقسيم الديار بين المؤيدين والمعارضين، وفيه مبحثان.

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، **أهمها**:

إن السِّلم هو أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم من الأمم، وأما الحرب التي خاضها المسلمون الأوائل فكانت دفاعًا عن الدين والنفس، وإزالةً للعوائق التي كانت تحول دون وصول الإسلام إلى الناس، أو تحول دون دخولهم فيه، وما كانت تكره الناس أو تقسرهم على الإسلام قسرًا.

إن الأمة المسلمة بقدر ما تحتاج إلى مد الجسور وبسط الأيدي الحانية نحو الأمم المخالفة، فإنها تحتاج في الوقت نفسه إلى ضوابط قوية تحفظها من تجاوز الخطوط الحمراء، وذلك يحفظ لها عزتها وكرامتها وهيبتها.

لا يجوز التكفير إلا بمكفر متفق عليه، ومن رأى من أحد أمرًا يظنه كفرًا، فلا يجوز له تنزيل الكفر عليه إلا بعد توافر شروط التكفير فيه.

إن وسطية الإسلام وسماحته لا تأخذ من العقول البشرية، ولكنها تأخذ من النصوص الشرعية، وإن دين الله والمتمسكين به بعلم بُرآء من الانحرافات عن الوسط، سواء الجانح منها إلى الغلو، أو المائل إلى التقصير، ومن ينحرف عن هذه الوسطية بغلو أو جفاء لا يعتبر ممثلًا للإسلام، وإنما هو ممثل لنفسه.

إن تقسيم الديار إلى دار حرب ودار سلم إنما هو أمر طارئ، اقتضته طبيعة الحياة في تلك الفترة، وهو قابل للتغيير والتبديل حسبما تقتضيه المصلحة العليا للأمة الإسلامية، ودليل ذلك: أن من فقهاء المسلمين من أضاف تقسيمًا ثالثًا، ومنهم من جعل القسمة أكثر من ذلك، بحيث تتحقق المصلحة للمسلمين.

هناك كثير من الأحكام التي نص عليها العلماء قديمًا ـ بناءً على التقسيم القديم للعالم والنظرة القديمة له ـ بحاجة إلى إعادة النظر في ضوء الواقع الجديد، حيث إنها وضعت في وقت لم يكن المسلم يأمن فيها على نفسه، ولا يتمكن من شعائر دينه إلا في دار الإسلام.

كما أوصت الدراسة بمجموعة من الوصايا، **أهمها ما يأتي**:

يجب تناول هذا الموضوع بعناية بالغة؛ لأن مفهوم دار الإسلام ودار الحرب ليس أمرًا مقيدًا بزمن واحد، ولا بجيل معين؛ بل هو أمر لكل زمان ولكل جيل؛ لأن في مفهومه يتبلور تصورنا لرؤية العالم والعيش فيه.

ربط الكتابة في هذا الموضوع بالواقع المعاصر؛ حيث إنه لا يمكن أن نفصل بين الدراسات الفقهية في مجال السياسة الشرعية، وهذه المفردات في الحياة السياسية المعاصرة.